

استدراكات ابن حجر على المفسرين في كتابه العجاف في بيان الأسباب
سورة البقرة أنموذجاً

**Ibn Hajar's reflections on the commentators of his book Al-Ajab in
Explanation of Reasons; Surat Al-Baqarah as a model**

د. وفاء بنت عبد الله بنت عبد العزيز الزعاقبي*

جامعة الملك سعود، كلية التربية - الرياض، المملكة العربية السعودية،

walzeage@ksu.edu.sa

تاريخ الاستلام: 2021/06/20 تاريخ القبول: 2022/02/20 تاريخ النشر: 2022/06/14

ملخص:

ألف الحافظ ابن حجر كتاب "العجاف في بيان الأسباب" لبيان الروايات الصحيحة من الضعيفة الواردة في كتاب (أسباب النزول) للواحدي، وأدخل ابن حجر في كتابه ما استفاده من كلام العلماء مما له علاقة بأسباب النزول وقد يستدرك عليهم فيصح رأياً أو يوضح مشكلاً أو يُبين غامضاً، وهي استدراكات متفرقة في كتابه جمعت منها ما يتعلق بسورة البقرة وهي عشرة مواضع، درست منها سبعة مواضع وترك ما سبقني بدراسته بعض الباحثين.

أهداف البحث:

1. الموازنة بين أقوال ابن حجر وأقوال العلماء والخروج بنتائج تتعلق باستدراكات الحافظ.
2. تحرير محل الاستدراك في المسألة.
3. الكشف عن منهج ابن حجر في الاستدراك.
4. دراسة استدراك ابن حجر وبيان نتائج الدراسة.

نتائج البحث:

1. عناية ابن حجر بكلام السلف وتوجيهه وإزالة الإشكال في فهمه.
2. تنوع استدراكات ابن حجر بين توضيح المشكل وتصحيح الخطأ وزيادة قول.
3. استدراكات ابن حجر مبنية على التبع الدقيق للأقوال وأدلتها ودلالاتها ومواضع الوهم فيها.
4. نسبة موافقة ابن حجر في استدراكاته 85% ونسبة المخالفة 14% من مجموع الاستدراكات وهي سبع استدراكات.

5. ما ذكره الباحثون في تعريف الاستدراك تدخل في التعريف الإجرائي أقرب من التعريف الاصطلاحي المتسم بأنه جامع مانع كما هو معروف في التعريفات الاصطلاحية.
 6. حاجة مصطلح الاستدراك للتعريف الاصطلاحي في الدراسات القرآنية.
- الكلمات المفتاحية:** استدراكات؛ أسباب النزول؛ سورة البقرة؛ الواحدي؛ التفسير.

Abstract:

Ibn Hajar has written his book "Al-Ujab fi bayan al-asbab li Bayan Alriwayat Alsahiha min Al daifa fi Kitab (Asbab al-Nuzul) Lilwahidi" in which he makes use of scholars' teachings relevant to reasons of revelation (Asbab al-Nuzul). He may further provide some commentaries thereon in terms of amending a point of view, highlighting a question or clarifying ill-defined issues. The book includes miscellaneous commentaries piling up 10 points related to Surah Al-Baqarah from which I have addressed only seven, excluding the points previously tackled by researchers.

Research Objectives:

- 1-Comparing Ibn Hajar's views to scholars' and achieving findings related to Al-Hafez's commentaries.
- 2-Drawing up subject of commentary with respect to the topic
- 3-Shedding light on Ibn Hajar's commentary approach
- 4-Studying Ibn Hajar's commentaries and presenting the study's findings

Research Findings include:

- 1- Ibn Hajar's attention to the words of the predecessors and his guidance in understanding them
- 2- Ibn Hajar's commentaries are wide-ranging .
3. Ibn Hajar's commentaries are based on Accurate tracking of sayings, their evidence, their significance and places of illusion.
4. 14% of total Ibn Hajar's commentaries subject of research (7 commentaries) are accepted while 85% thereof are opposed.
- 5.Ibn Hajar's commentaries are based on a careful follow-up of the sayings, their evidence, their significance, and the places of illusion in them.

Keywords: Commentaries; Reasons of Revelation (Asbab al-Nuzul) ; Surah Al-Baqarah; Al-Wahidi; Interpretation.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لقد أبدع العلماء في خدمة كتاب الله عز وجل، وتنوعت طرائق تأليفهم في علومه ومناهج البحث فيها ومسالك النظر في فروعها. ومن علوم القرآن التي أخذت حظاً وافراً من العناية علم أسباب النزول، فقد حظي بصنوف التأليف عنه قديماً وحديثاً، وتصدى للكتابة عنه جهابذة العلماء ممن حازوا قصب السبق في التأصيل والتقعيد والنقد والتحرير، فكان منهم الحافظ ابن حجر الذي ألف كتاب "العجائب في بيان الأسباب" بغرض الذب عن سنة المصطفى ﷺ حين رأى إقبال الناس على كتاب الواحدي "أسباب النزول" وصدورهم عنه وقد حوى الحديث الصحيح والضعيف والمردود، فما كان منه إلا أن قام ببيان صحيح الروايات من ضعيفها، ومقبول الأسانيد من مردودها، والتعريف بالرجال وأحوالهم، إلى جانب الاستدراكات العلمية التي أضافها وحررها تحريراً يحسن الوقوف عليه ودراسته لذا قمت بجمع استدراكاته في سورة البقرة ورتبتها وفق العناصر الآتية:

مشكلة البحث:

ألف ابن حجر (ت 852هـ) كتاب العجائب في بيان الأسباب في نقد مرويات الواحدي في أسباب النزول، إلا إن ابن حجر أضاف إلى نقد المرويات استدراكات على بعض المفسرين تتعلق بأسباب النزول وما يتعلق به من معاني ومعرفة الناسخ والمنسوخ، مما يستوجب الوقف على تلك الاستدراكات ودراستها وإبراز أهميتها ومدى صحة تلك الاستدراكات وأثرها في فهم كلام المفسرين.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1. التعرف على جهود ابن حجر في خدمة أسباب النزول.
2. الوقوف على الإضافات العلمية التي أضافها ابن حجر المتعلقة بأسباب النزول.
3. الاستفادة من منهج ابن حجر في الاستدراكات من خلال الدراسة التحليلية لأقواله.
4. تيسير الوصول لاستدراكات ابن حجر من خلال جمعها ودراستها.

أهداف البحث:

5. الموازنة بين أقوال ابن حجر وأقوال العلماء والخروج بنتائج تتعلق باستدراكات الحافظ.
6. تحرير محل الاستدراك في المسألة.
7. الكشف عن منهج ابن حجر في الاستدراك.
8. دراسة استدراك ابن حجر وبيان نتائج الدراسة.

حدود البحث:

التزم البحث بالاستدراكات الواردة عند ابن حجر في سورة البقرة التي لم يسبق أن جُمعت في الدراسات السابقة، ودون الاستدراكات المتعلقة بنقد المرويات عند المحققين.

الدراسات السابقة:

1. التأمل والنظر فيما استُدرِك على بعض المفسرين من الحفاظ ابن حجر من خلال كتاب العجائب نماذج من سورة البقرة للدكتور علي عثمان محمد. وهو بحث محكم ومنشور في مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسبوط العدد 35 الجزء الأول وقد كانت دراسة تعنى بدراسة ثلاث استدراكات الأول في سبب نزول الآية رقم (6) والثاني قصة الشياطين والسحر والثالث قصة هاروت وماروت. وعلى هذا سٌتدرس في هذا البحث بقية الاستدراكات في سورة البقرة باستثناء تلك الموضوعات الثلاثة وعددها سبع استدراكات.

2. منهج الحفاظ ابن حجر (ت852هـ) في كتابه العجائب في بيان الأسباب للدكتور. ماهر السيد حماد وتعرضت الدراسة لذكر منهج ابن حجر الحديثة ولم يتعرض البحث لاستدراكات ابن حجر.

3. استدراكات السلف في التفسير في القرون الثلاثة الأولى دراسة نقدية مقارنة د. نايف الزهراني، وهذا البحث لا يرتبط بجهود ابن حجر ولكنه يشترك مع الدراسة الحالية في تعريف الاستدراك في التفسير، ومنهج دراسة الاستدراكات فقط.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي في جمع الاستدراكات الواردة في سورة البقرة، والمنهج التحليلي في دراسة الاستدراكات، والمنهج النقدي في دراسة استدراكات ابن حجر والحكم عليها من حيث القبول والرد وذلك وفق الإجراءات الآتية:

1. جمع الاستدراكات الواردة في سورة البقرة من كتاب العجائب.
2. إيراد الآية التي ورد لابن حجر استدراك في التعليق على سبب نزولها .
3. كتابة الآية بنصها وفق خط المصحف من خلال برنامج خط المصحف للنشر الحاسوبي.
4. نقل نص ابن حجر المشتمل على استدراكه.
5. تحرير أصل المسألة التي ورد عليها استدراك.
6. بيان سبب استدراك ابن حجر في المسألة.
7. إيراد كلام المفسرين موجزا في المسألة.
8. ذكر نتيجة دراسة استدراك ابن حجر وبيان وجه قوة أو ضعف الاستدراك.

استدراكات ابن حجر على المفسرين في كتابه العجائب في بيان الأسباب - سورة البقرة أنموذجاً

9. اعتمدت في الدراسة على النسخة التي حققها عبد الحكيم الأنيس طبعة دار ابن الجوزي.

10. لم أعرف بالأعلام الواردين في نص ابن حجر أو تخريج أقواله اكتفاءً بتعريف المحقق في تعليقه على العجائب.

11. جعلت الاستدراكات مفرقة في مطالب ورتبت المطالب بحسب ترتيب الآيات في سورة البقرة.

12. قسمت البحث إلى مبحثين وضمنت مبحث الأول ست مطالب، والمبحث الثاني: ست مطالب.

خطة البحث:

المقدمة (مشكلة البحث، أهمية الموضوع وأسباب اختياره، أهداف البحث، حدود البحث، الدراسات السابقة، منهج البحث وإجراءاته، الخطة)

المبحث الأول: استدراكات ابن حجر ومنهجه في الاستدراك وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاستدراك لغة

المطلب الثاني: تعريف الاستدراك في الاصطلاح العام

المطلب الثالث: تعريف الاستدراك باعتبار نسبته لعلم من العلوم

المطلب الرابع: المراد باستدراكات ابن حجر في العجائب

المطلب الخامس: منهج ابن حجر في استدراكاته في كتاب العجائب

المبحث الثاني: استدراكات ابن حجر في سورة البقرة وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الاستدراك برفع الإشكال في كلام السلف المتعلق بالمكي والمدني

المطلب الثاني: الاستدراك المتعلق بتفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمَيُّونَ﴾

المطلب الثالث _ الاستدراك المتعلق بتفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾

المطلب الرابع: الاستدراك المتعلق بالناسخ والمنسوخ في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾

المطلب الخامس: الاستدراك المتعلق بنزول قوله تعالى: ﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلْ

مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾

المطلب السادس: الاستدراك المتعلق بتفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ

الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾

تحليل النتائج

الخاتمة وتشمل: النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: استدراكات ابن حجر ومنهجه في الاستدراك:

المطلب الأول: تعريف الاستدراك باللغة⁽¹⁾:

الاستدراك مصدر مشتق من الفعل "دَرَكَ" والِدال والراء والكاف أصل واحد،

والدرك: اللحاق. يقال أدركت الشيء أدركه إدراكاً.

ويأتي الدرك على معاني منها:

— اللحاق والوصول إلى الشيء: يقال: ما لحقتك من درك فعلي خلاصه. ومن ذلك الدرك، وهي منازل

أهل النار. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: 145]،

وهي منازلهم التي يدركونها ويلحقون بها. وتدارك القوم: لحق آخرهم أولهم. وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ

فِي الْآخِرَةِ﴾ [النمل: 66] أي علمهم أدركهم في الآخرة حين لم ينفعهم.

— بلوغ منتهى الشيء، أدرك الشيء: بلغ وقته وانتهى. وأدرك أيضاً: فني. ويقال: "بلغ" الغلام بلاغاً

أدرك. وبلغ وقت الشيء. وأدرك الشيء: بلغ وقته وانتهى.

— الاتباع والتتابع: والدرك: التبعة، يُسَكَّن ويُجَرَّك. وقولهم: دراك أي أدرك، وهو اسم لفعل الأمر،

والدراك: اتباع الشيء بعضه على بعض في الأشياء كلها. درك المَطَر وغيره تتابع كأنه يَدْرِك بعضه بَعْضًا.

— تصريف "دَرَكَ":

يأتي تصريف "درك" على أوزان متعددة نذكر منها ما يأتي:

— وزن استفعل استفعال، وهو استدرك يستدرك، استدراكاً، فهو مُستدرك، والمفعول مُستدرك.

— وزن تفاعل: يقال تدارك. استدرك مَا فَاتَ تَدَارَكَه وَالشَّيْءَ بِالشَّيْءِ تَدَارَكَه تدارك الحُطْأَ بِالصَّوَابِ،

والذنب بِالتَّوْبَةِ أي: أصلح خطأه أو أكمل نقصه أو أزال عنه لبساً أو وهماً، واستدرك الأمر: تلافاه

ومنع وقوعه.

ونخلص إلى إن الاستدراك في اللغة يشتمل على ما يلي:

— معنى سابق مُستدركاً ومعنى لاحق مُستدرك يتبع السابق ويلحقه.

— إن اللاحق محيط بالسابق يكمل نقصه أو يصلح خطأه أو يكشف غامضه أو يرفع مشكله.

— إن الاستدراك مفاعلة بين المستدرك والمستدرك عليه بغرض الإصلاح والإتقان لأمر حسية أو معنوية.

وعليه فالاستدراك في اللغة هو لحوق الشيء بالشيء حتى يبلغ به الكمال والصلاح والبيان.

المطلب الثاني: تعريف الاستدراك في المصطلح العام:

- ورد في تعريف الاستدراك في معناها العام عدد من التعريفات متقارب في المعنى اذكر منها ما يلي:
- رفع توهمٍ تولَّد من كلام سابق⁽²⁾
 - هو دفع توهم يتولَّد من الكلام المتقدم دفعا شبيها بالاستثناء⁽³⁾
 - إتباع القول الأول بقول ثانٍ، يُصلح خطأه، أو يكمل نقصه، أو يزيل لبسه⁽⁴⁾
 - هو تعقيب الكلام برفع ما يتوهم بثبوته أو نفيه⁽⁵⁾.

المطلب الثالث: تعريف الاستدراك باعتبار نسبته لعلم من العلوم:

1- الاستدراك عند النحاة:

رفع التوهم المتولد من كلام سابق بلفظة (لكنّ) أو (لكن) أو (على) أو ما يقوم مقامها من أدوات الاستثناء⁽⁶⁾

2- الاستدراك عند مفسري السلف:

إتباع المفسر من السلف قولاً يذكره أو يُذكر له في بيان المعنى المراد من الآية بقول آخر يصلح خطأه أو يكمل نقصه⁽⁷⁾.

3- الاستدراك الأصولي: تعقيب اللفظ أو المعنى الأصولي بمخالف له في نفسه⁽⁸⁾.

4- الاستدراك الفقهي: تلافي خللٍ واقع أو مُقدَّر؛ لإنشاء نفعٍ أو تكميله في نظر المتلافي⁽⁹⁾.

وهكذا نلاحظ حضور المعنى اللغوي من خلال التعريف الاصطلاحي واختلاف قيود كل تعريف بحسب اختلاف مجالات البحث في كل علم.

ولأن كانت استدراكات ابن حجر في كتابه العجائب بما جاء فيه فيحسن تعريف استدراكه تعريفاً إجرائياً حتى يتضح مجال الاستدراك عند الحافظ رحمه الله تعالى.

المطلب الرابع: المراد باستدراكات ابن حجر في العجائب:

تتبع أقوال العلماء بالتصحيح أو التوضيح أو التكميل في أسباب النزول وما يرد معها من نكت علمية.

شرح التعريف:

تتبع: وهي ضابط في التعريف وبيان لمعناه . وقد نص ابن حجر على أنه تتبع ما فات الواحد ويبيّن حال الحديث من الصحة والضعف.

أقوال العلماء: وهي المصادر التي استقى منها ابن حجر مادة كتابه كما نص على ذلك في مقدمته.

بالتصحيح: هو يأتي على القول الذي فيه خطأً فيبين الخطأ ويصححه .

التوضيح: قد يرد كلامٌ عن أحد المفسرين وظاهره غيرُ بيّن أو مُلبسٌ فيعتني ابن حجر برفع الإشكال عنه.

التكميل: يعتمد ابن حجر إلى الأقوال التي ينقصها مرويات أخرى تبينها فيذكرها.
في أسباب النزول: إذ غرض ابن حجر من كتابه ذكر المرويات الصحيحة في أسباب النزول .
وما يرد معها من نكت علمية: قد يستدرك ابن حجر مسألة علمية ليست مرتبطة بسبب النزول ارتباطاً مباشراً.

ضوابط التعريف:

1. يخرج من التعريف اختيارات ابن حجر وترجيحاته واستنباطاته ونقده للمرويات وبيان الصحيح من الضعيف والمقبول من المردود، لأن هذا هو مقصود الكتاب من جهة؛ ولأن نقد الحديث علم مستقل بذاته من جهة أخرى.
2. يلتزم بذكر الاستدراك الذي يشتمل على بيان مبهم أو رفع إشكال أو تصحيح خطأ أو تكميل نقص.

المطلب الخامس: منهج ابن حجر في استدراكاته في كتاب العجائب:

للكشف عن منهج ابن حجر في استدراكاته يتم الرجوع إلى مصدرين:
أحدهما؛ مقدمة ابن حجر في كتابه العجائب فقد بين فيها منهجه في الكتاب ومما جاء فيها: (ثم إن ظاهر كلامه _أي الواحدي_ أنه استوعب ما تصدى له، وقد فاته منه شيء كثير، فلما رأيت الناس عكفوا على كتابه وسلموا له الاستبداد بهذا الفن من فحوى خطابه تتبعت مع -تلخيص كلامه- ما فاته محذوف الأسانيد غالباً، لكن مع بيان حال ذلك الحديث من الصحة والحسن والضعف والوهاء قصد النصح للمسلمين، وذنباً عن حديث سيد المرسلين، ولا سيما فيما يتعلق بالكتاب المبين.

فأبدأ غالباً بكلام الواحدي ثم بما استفدته من كلام الجعبري ثم بما التقطته من كتب غيرهما من كتب التفاسير وكتب المغازي وكتب المسانيد والسنن والآثار وغير ذلك من الأجزاء المتفرقة ناسباً كل رواية لراويها، وكل مقالة لمخرجها، ثم لا أذكر من الزيادات إلا ما هو سبب نزول ببادئ الرأي لا ما يكون من هذا القبيل بضرب من التأويل، وقد أورد الواحدي من ذلك أشياء ليست بكثيرة فلم أحذف منها شيئاً بل جعلت علامة ما أزيده "ز" يكتب على أول القول وأما ما أزيده في أثناء كلامه فهو بغير علامة لكن ربما عرف إذا كان في صورة الاعتراض مثلاً).⁽¹⁰⁾

والثاني: استدراكاته في الكتاب.

وعليه فإنه يمكن بيان منهجه فيما دُرِسَ من الكتاب⁽¹¹⁾ حسب ما يلي:

1. رفع الإشكال بتوجيه كلام السلف وبيان معناه بما يزيل إيهام التعارض في كلامهم، وعدم الاكتفاء بتوجيه من سبقه لما فيه من الاختصار وحاجة المسألة للبسط والبيان.

2. الاستدراك ببيان الوهم الذي قد يقع في إيراد سبب نزول في غير موضعه.
3. الاستدراك بالنظر في الآيات ودلالاتها، وبيان الأسباب التي يوردها المفسر والموازنة بين موضع ذكر السبب وبين ما تدل عليه الآيات من معنى ثم اعتماد ذلك في بيان وجه الخلل في مواضع إيراد الأسباب.
4. الاستدراك بالنظر في الأقوال ودراستها والموازنة بينها ومعرفة وجه قوة بعضها دون بعض ثم الاستدراك على المفسر في اختياراته وفق ما تبين له من نظر في الأقوال.
5. الاستدراك بزيادة عدد الأقوال المقبولة فيما يختاره المفسر من علل تتعلق بأسباب النزول.
6. الاستدراك بتخريج كلام المفسرين من التابعين وبيان أصول أقوالهم بإيراد أقوال الصحابة التي اعتمد عليها التابعي في سبب النزول.
7. الاستدراك بإزالة الإيهام عن كلام المفسر الذي قد يحدث لدى القارئ بسبب عبارة المفسر.

3. المبحث الثاني: استدراكات ابن حجر في سورة البقرة:

1.3 المطلب الأول: الاستدراك برفع الإشكال في كلام السلف المتعلق بالمكي والمدني:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21]:

نص قول ابن حجر:

قال ابن حجر: (ساق الواحدي سنداً صحيحاً إلى الأعمش عن إبراهيم هو - النخعي - عن علقمة - هو ابن قيس - أحد كبار التابعين قال: كل شيء نزل فيه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فهو مكي، وكل شيء نزل فيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهو مدني.

قلت: وقد وصله بذكر ابن مسعود فيه البزار والحاكم وابن مردويه.

قال الواحدي: أراد أن ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب لأهل مكة، و ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب لأهل المدينة، فقله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ خطاب لمشركي أهل مكة إلى قوله: ﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ انتهى⁽¹²⁾.

قال ابن حجر: (وقد استشكل ما نُقل عن علقمة وغيره، مع اختلاف العبارة ففرق بين قول من قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ مكي، وبين قول من قال: خوطب به أهل مكة؛ لأن الأول أخص من الثاني؛ لأن الذي وقع عليه الاتفاق في الاصطلاح بالمكي والمدني: أن المكي ما نزل قبل الهجرة ولو نزل بغير مكة كالطائف، وبطن نخل، وعرفة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، ولو نزل بغيرها من الأماكن التي دخلها النبي ﷺ في غزواته حتى مكة وأرض الطائف وتبوك وغيرها، وإذا تقرر ذلك فالذي قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾

مكي، يقتضي اختصاصه بما قبل الهجرة فلا يدخل فيه المنافقون؛ لأنه إنما حدث بعد الهجرة جزماً، وأما اليهود فمحتمل، والذي قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطوب به، أهل مكة، يعم ما قبل الهجرة وما بعدها لكنه يخص أهل مكة دون غيرهم من المشركين⁽¹³⁾.

أصل المسألة: يرجع أصل المسألة إلى تحرير معنى المكي والمدني، فالمشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها⁽¹⁴⁾، وثبت عن علقمة وغيره أن المكي ما ورد فيه (يا أيها الناس) والمدني ما ورد فيه (يا أيها الذين آمنوا).

وقال ابن عباس وجماعة من الأئمة منهم أحمد بن حنبل وغيره وبه قال كثير من المفسرين: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة⁽¹⁵⁾.

وأخرج ابن أبي شيبه الخبر مرسلًا ووصله الحاكم والبيهقي⁽¹⁶⁾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَا كَانَ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...} [البقرة: 104] نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ، وَمَا كَانَ {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} [الأعراف: 158] فِيمَكَّةَ.

ورد ابن عطية والقرطبي قول مجاهد وعكرمة بأن (يا أيها الناس) حيث وقع في القرآن فهو مكي لورودها في سورتين مدنيتان بالاتفاق وهما البقرة والنساء، وأما (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فَصَحِيحٌ⁽¹⁷⁾. ووجه أبو حيان الرواية فقال: (أَمَّا فِي {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فَصَحِيحٌ، وَأَمَّا فِي {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} فَيُحْمَلُ عَلَى الْغَالِبِ، لِأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَقَدْ جَاءَ فِيهَا {يَا أَيُّهَا النَّاسُ})⁽¹⁸⁾.

وجه استدراك ابن حجر:

أجاب ابن حجر على الاشكال بأن عبارة (مكي) و (خطوب به أهل مكة) إن المرد بها بيان من المخاطب وليس من باب بيان وقت نزولها. فإذا قال المفسر (مكي) يريد أن الآية مخاطب بها المشركين في مكة قبل الهجرة وقد يدخل فيها اليهود ولكن لا يدخل فيها المنافقون لأن النفاق ما ظهر إلا في المدينة بعد الهجرة. وإذا قال المفسر (خطوب به أهل مكة) المشركين من أهل مكة بعد الهجرة.

وما استدركه ابن حجر قد ذكره الواحدي ملخصاً كما تقدم، وذكره الزركشي في بيانه لمصطلح المكي والمدني قال: (أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة وعليه يحمل قول ابن مسعود الآتي لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخطوبوا (يا أيها الناس) وإن كان غيرهم داخلاً فيها، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخطوبوا (يا أيها الذين آمنوا) وإن كان غيرهم داخلاً فيهم.) وقال في تعليقه على رواية علقمة: (والأقرب تنزيل قول من قال: (مكي ومدني) على أنه خطاب المقصود به أو حل المقصود به أهل مكة، (يا أيها الذين آمنوا) كذلك بالنسبة إلى أهل المدينة).⁽¹⁹⁾

دراسة الاستدراك:

أ. أقوال المفسرين في المراد "بالناس": ورد في المراد بالناس خمسة أقوال:

أحدها: أنه عام في جميع الناس المؤمن والكافر، وهو قول ابن عباس والواحدي والبعوي ورجحه القرطبي وقال: وهذا حسن⁽²⁰⁾.

والثاني: أنه خطاب لأهل مكة، قاله الحسن وعلقمة⁽²¹⁾.

والثالث: أنه خطاب للكفار من مشركي العرب وغيرهم، قاله السدي⁽²²⁾.

والرابع: أنه خطاب للمنافقين واليهود، قاله مقاتل⁽²³⁾.

الخامس: المراد بهم الكفار والمنافقين الذين تقدمت الآيات في الحديث عنهم وهو قول الطبري⁽²⁴⁾.

فالاختلاف في المراد بالناس دليل على صحة ما استدركه ابن حجر في توجيه كلامهم ورفع الإشكال عنه، فلو كان مرادهم بأن (يا أيها الناس) نزلت في مكة من حيث مكان النزول لما اختلفت أقوالهم في المراد بالناس.

ب. النتيجة:

صحة استدراك ابن حجر في تمييز عبارة السلف في تفسير (يا أيها الذين الناس) وإشارته إلى أن عبارة مكّي أخص من عبارة (خوطف به أهل مكة)، فهي من باب التفسير وبيان المعنى وليست من باب بيان ضابط المكّي والمدني، فذلك متفق عليه ومقرر عند المفسرين ولا خلاف فيه. فاستدراكه -رحمه الله- أزال الإشكال الذي ظهر في كلام السلف، وقد سبق الواحدي والزركشي ابن حجر في بيان ذلك إلا أن عبارته -رحمه الله- أوضح في رفع الإشكال لما فيها من التحرير والبسط في بيان ألفاظ السلف والكشف عن أوجه الفرق في المصطلحات بخلاف عبارة من سبقه.

المطلب الثاني الاستدراك المتعلق بتفسير قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ):

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: 78]:

نص قول ابن حجر:

(أخرج الطبري من طريق ابن جريج عن مجاهد في هذه الآية (وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ) قال: ناس من اليهود لم يكونوا يعلمون شيئاً وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله تعالى ويقولون: هو من الكتاب أماني يتمنونها.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عباد بن منصور عن الحسن البصري نحوه بتمامه، وأخرج الطبري من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: الأميون هنا قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزل الله فكتبوا كتابا بأيديهم، ثم قالوا لقوم سِفلة جهال: هذا من عند الله فأخبر أنهم يكتبون بأيديهم ثم سماهم أميين. وهذا استنكره الطبري من جهة اللغة العربية وقد تقدم أن الضحاك لم يسمع من ابن عباس وإسناده [من ابن منصور]⁽²⁵⁾ إلى الضحاك ضعيف، وكأنه جعل ما في الآية وصف مَنْ ذكر في التي بعدها، وعند الأكثر أنها صفة قوم آخرين وهو أولى⁽²⁶⁾.

أصل المسألة: أخرج الطبري في معنى أمي قولان⁽²⁷⁾:

أحدهما: أن الأمي من لا يقرأ ولا يكتب. وهذا قول النخعي وابن زيد.

والثاني: الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم. روى الضحاك، عن ابن عباس: (ومنهم أميون)، قال: الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم، ثم قالوا لقوم سِفلة جهال: هذا من عند الله. وقال: قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أميين، لحدودهم كتب الله ورسله.

ورد الطبري رواية الضحاك لأن معنى الأمي حسب الرواية يخالف لمعناها في العربية.

ثم إن الطبري أخرج رواية الضحاك عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79] بلفظ: عن الضحاك، عن ابن عباس قال: الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم، ثم قالوا لقوم سِفلة جهال: هذا من عند الله "ليشتروا به ثمنا قليلا". قال: عرضا من عرض الدنيا. وتكرار الطبري لرواية ابن عباس تُؤهم أن الطبري أراد أن الآيتين تتحدث عن جماعة واحدة.

وجه استدراك ابن حجر:

استدرك ابن حجر على الطبري استنكاره ما جاء في رواية الضحاك وذلك لسببين:

الأول: ضعف إسناده رواية الضحاك للانقطاع بين الضحاك وابن عباس فالرواية لا يحتج بها، فرد الرواية أولى من الاعتراض على ما فيها.

استدراكات ابن حجر على المفسرين في كتابه العجائب في بيان الأسباب - سورة البقرة أنموذجاً

الثاني: كرر الطبري ذكر رواية الضحاك عند تفسير الآية التي تليها وهي قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩) [البقرة: 79] فكأنه جعل الآيتين في الحديث عن القوم أنفسهم، والصحيح أنهما قومان مختلفان. قال ابن حجر: (وكانه جعل ما في الآية وصف من ذكر في التي بعدها).

دراسة الاستدراك:

أ. أقوال المفسرين في معنى (الأميون) الآية: ورد في معنى الأمي أقوال⁽²⁸⁾:

الأول: إنهم قوم لا يحسنون القراءة والكتابة، جمع: أمي، منسوب إلى الأم كأنه باق على ما انفصل من الأم لم يتعلم كتابة ولا قراءة. وهو قول النخعي وابن زيد أبو العالية والربيع وقتادة وقال ابن كثير: (وغير واحد: وهو ظاهر في قوله تعالى لا يعلمون الكتاب أي لا يدرون ما فيه)⁽²⁹⁾.
الثاني: عن ابن عباس وقتادة: يعني غير عارفين معاني الكتاب. يعلمونه حفظاً وقراءة بلا فهم ولا يدرون ما فيه.

الثالث: إنهم قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم، ثم قالوا لقوم سافلة جهال: هذا من عند الله. وقال: قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أميين، لجحودهم كتب الله ورسله. وهذا قول الضحاك عن ابن عباس. ورد ابن كثير رواية الضحاك عن ابن عباس وقال: ثم في صحة هذا عن ابن عباس بهذا الإسناد نظر⁽³⁰⁾، وكذلك ضعفها الرواية ابن حجر كما تقدم.
وقد رجح الطبري قول النخعي لأنه فسر "الأمي" بمعناه عند العرب بخلاف تأويل ابن عباس المخالف لمعهود كلام العرب.

ب. أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًا﴾: اتفق المفسرون على إنهم يهود بني إسرائيل، ولكن اختلفت عباراتهم في من المراد بالآية على أقوال:

1. أنهم جماعة من اليهود حرفوا كتاب الله. عن السدي قال: كان ناس من اليهود كتبوا كتابا من عندهم، يبيعونه من العرب، ويحدثونهم أنه من عند الله، ليأخذوا به ثمنا قليلا. وعن مجاهد قال: هؤلاء الذين عرفوا أنه من عند الله، يحرفونه.

2. أنهم الأميون: أخرج الطبري عن الضحاك، عن ابن عباس قال: (الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم، ثم قالوا لقوم سافلة جهال: هذا من عند الله "ليشتروا به ثمنا قليلا". قال: عرضا من عرض الدنيا)⁽³¹⁾.

3. أنهم الأخبار والرؤساء وهو قول ابن عطية⁽³²⁾.

4. إنهم صنف آخر من اليهود غير الأميين. وهم الدعاة إلى الضلال بالزور والكذب على الله وأكل أموال الناس بالباطل وهذا قول ابن كثير⁽³³⁾

ب. النتيجة:

لا دليل على ما ذهب إليه ابن حجر في استدراكه على ابن جرير الطبري في أنه جعل ما في الآية وصف مَنْ ذَكَرَ في التي بعدها إذ إن الطبري قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: 79]، (يعني بذلك الذين حرفوا كتاب الله من يهود بني إسرائيل، وكتبوا كتابا على ما تأولوه من تأويلاتهم، مخالفا لما أنزل الله على نبيه موسى ﷺ، ثم باعوه من قوم لا علم لهم بها، ولا بما في التوراة، جهال بما في كتب الله - لطلب عرض من الدنيا خسيس).⁽³⁴⁾

ولو نظرنا لمقصد ابن جرير من إيراد قول ابن عباس في الآية (78) لتبين أنه أوردها ليبين معنى الأمي عند ابن عباس، وإن هذا المعنى لا يلتئم مع معنى الأمية في الآية والتي هي بمعنى عدم القراءة والكتابة، ولذلك لم يرجح قول ابن عباس.

أما إيراده لقول ابن عباس في الآية (89) فإن يشير إلى إن معنى الأمية ملائم لمن لهم الويل، باعتبار تفسير ابن عباس للأمي، وإنه لفظ يشمل أيضا من لم يؤمن بالله وكتب كتابا من عنده ثم ادعى إنه من عند الله تعالى ليشتري به ثمنا قليلا. إذ وصفهم بالأمية جاء في سياق ذمهم والتحذير منهم وليس في سياق الخبر عنهم فقط بدليل قوله (أميون لا يعلمون الكتاب) فوجه الذم في أميتهم ليس عدم إحسان القراءة والكتابة، بل الذم في عدم العلم بكتاب الله تعالى وبما فيه من أحكام ولكن يتخرون الكذب ويتقولون الأباطيل كذبا وزورا، فمعنى (أمان) الكذب والزور كما قال ابن عباس ومجاهد ورجحه الطبري⁽³⁵⁾ ولذا قال ابن عباس الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم.. الخ قوله. فالمعنى يدل على علة الذم بالأمية وليس على ذم الأمية في دلالتها اللغوية. وليس مقصود الطبري بيان إن كان الذين يكتبون الكتاب طائفة مستقلة أو إنهم من الأميين إذ كلامه لا يحتمل الإشارة لهذا الأمر، لاسيما وإن ظاهر النص لم يخص الذين يكتبون الكتاب بقوله (منهم) كما صرح بها عند الحديث عن المحرفون لكلام الله بعد سماعه، وللأميين.

فاستدراكه جاء من نقد سند الرواية، ومن إلزام الطبري برأي الأكثر الذي ظن أن الطبري مخالف له، ومن ضعف النظر في السياق الذي أورد فيه الطبري مروياته.

المطلب الثالث: الاستدراك المتعلق بتفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ [البقرة: 97-98]:

نص قول ابن حجر:

(قلت: جعل الواحدى هذا السبب ترجمتين⁽³⁶⁾ من أجل الاختلاف في سبب عداوتهم لجبريل وإن كان سبب النزول واحدا وحاصل ما ذكر فيه ثلاثة أقوال: أحدهما: إن عداوتهم لكونه ينزل بالعذاب. وهذا قول الجمهور. ثانيها: كونه حال دون قتل بخت نصر الذي حارب مسجدهم وسفك دماءهم، وسبى ذراريهم. ثالثها: كونه عدل بالنبوة عن بني إسرائيل إلى بني إسماعيل.

وهذا الثالث قواه الفخر الرازي من جهة المعنى؛ لأن معاداة جبريل وهو رسول الله بامتناله أمر الله فيما ينزل به من الشدة والعذاب لا يصدر من عاقل بخلاف تجويز النسيان عليه مع من أمر بالإنزال عليه. هذا حاصل ما رجحه به، وفاته ترجيح أن يرجح الثاني؛ لأنه ليست مخالفة لما أمر به لا عمدا ولا سهواً، بل هو راجع إلى اجتهداده، ومن عادى من اجتهد فأداه اجتهداده إلى ضرر من عاداه لا يلام في المعادة. وقد وجدت ما يصلح معه إفراد الترجمة الثانية وهو سبب معاداتهم لرسول الله ﷺ لأن الأولى من جميع طرقها خاصة بجبريل عليه السلام، وذلك فيما أخرجه الطبري من طريق عبيد الله العتكي - وهو أبو المنيب المروزي صدوق - عن رجل من قريش قال: سأل النبي ﷺ اليهود فقال: "أسألكم بكتابكم الذي تقرأون، هل تجدونني قد بشر بي عيسى أن يأتيكم رسول من بعدي اسمه أحمد؟" قالوا: اللهم وجدناك في كتبنا، ولكننا كرهناك لأنك تستحل الأموال - يعني الغنائم - وتهريق الدماء. فأنزل الله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الآية: 6]⁽³⁷⁾.

أصل المسألة: أخرج الواحدى في سبب نزول الآية (97) رواية ابن عباس وفيها أن اليهود أخبروا رسول الله ﷺ بسبب عداوتهم لجبريل عليه السلام أنه ينزل بالحرب وبالقتال. ثم ذكر الآية (98) وأخرج رواية الشعبي عن عمر رضي الله عنه في حواره مع اليهود وذكرهم سبب عداوتهم لجبريل عليه السلام.

وجه استدراك ابن حجر:

1. إن الواحدي كرر سبب عداوة اليهود لجبريل عليه السلام في بيان سبب نزول الآية (97) و(98) والأسباب جميعها في عداوة اليهود لجبريل عليه السلام ولم تشتمل على رواية سبب عداوة اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
 2. أضاف ابن حجر سبب عداوة اليهود الرسول صلى الله عليه وسلم لثبوت الخبر بذلك ورأى إن هذا السبب أولى أن يذكر عند الحديث عن سبب نزول الآية (98) إذ الآية (97) كانت عن عداوة جبريل عليه السلام فلا حاجة لتكرار أسباب عداوة في الآية الثالثة.
 3. استدرك على الرازي أنه لم يرجح سبب كره اليهود لجبريل عليه السلام فقد حال دون قتل بخت نصر الذي حرب مسجدهم وسفك دماءهم، وسبى ذراريهم. فالرواية بيّنت أنهم كانوا يريدون قتل بخت نصر للخبر الذي جاءهم إن هلاكهم على يديه، فأشار عليهم جبريل عليه السلام بعدم قتله فأطاعوه فتحقق قتلهم بعد ذلك على يديه، فرأى جبريل عليه السلام حال بينهم وبين قتل بخت نصر لذا كانت عداوتهم لهم سببا مقبولا وفق طريقة تفكيرهم ومناهج أقيستهم وقلة إيمانهم.
- قال الرازي: (واعلم أن الأقرب أن يكون سبب عداوتهم له أنه كان ينزل القرآن على محمد عليه السلام لأن قوله: من كان عدوا لجبريل، فإنه نزله على قلبك بإذن الله مشعر بأن هذا التنزيل لا ينبغي أن يكون سببا للعداوة لأنه إنما فعل ذلك بأمر الله فلا ينبغي أن يكون سببا للعداوة وتقرير هذا من وجوه، أولها: أن الذي نزل جبريل من القرآن بشارة المطيعين بالثواب وإنذار العصاة بالعقاب والأمر بالمحاربة والمقاتلة لما لم يكن ذلك باختياره بل بأمر الله الذي يعترفون أنه لا محيص عن أمره ولا سبيل إلى مخالفته فعداوة من هذا سبيله توجب عداوة الله وعداوة الله كفر، فيلزم أن عداوة من هذا سبيله كفر، وثانيها: أن الله تعالى لو أمر ميكائيل بإنزال مثل هذا الكتاب فيما أن يقال: إنه كان يتمرد أو يأبى عن قبول أمر الله وذلك غير لائق بالملائكة المعصومين أو كان يقبله ويأبى به على وفق أمر الله فحينئذ يتوجه على ميكائيل ما ذكره على جبريل عليهما السلام فما الوجه في تخصيص جبريل بالعداوة؟ وثالثها: أن إنزال القرآن على محمد كما شق على اليهود فأنزال التوراة على موسى شق على قوم آخرين، فإن اقتضت نفرة بعض الناس لإنزال القرآن قبحه فلتقتض نفرة أولئك المتقدمين لإنزال التوراة على موسى عليه السلام قبحه ومعلوم أن كل ذلك باطل فثبت بهذه الوجوه فساد ما قالوه.)⁽³⁸⁾

دراسة الاستدراك:

أ. أقوال المفسرين في معنى الآية:

أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم. فأخرج الطبري بسنده عن ابن عباس مناظرة دارت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود جاء فيها أنهم قالوا: (من وليك من الملائكة، فعندها نتابعك أو نفارقك؟). قال: فإن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه. قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة، تابعناك وصدقناك. قال: "فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا. فأنزل الله عز وجل: (من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله).

ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك فقال بعضهم: إنما كان سبب قولهم من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ في أمر نبوته، وقيل بسبب محاورتهم مع عمر رضي الله عنه⁽³⁹⁾. كما اختلفت الروايات كذلك في سبب عداوة اليهود لجبريل عليه السلام على ثلاثة أقوال كما يأتي:

— أن عداوتهم له لأنه يأتي بسفك الدماء، فعن شهر بن حوشب أنهم قالوا: (نعم، ولكنه لنا عدو، وهو ملك إنما يأتي بالشدة وسفك الدماء، فلولا ذلك اتبعناك. فأنزل الله فيهم: (قل من كان عدوا لجبريل))⁽⁴⁰⁾.

— أن عداوتهم له لأنه جعل النبوة في غيرهم قال مقاتل: قالت اليهود: إن جبرئيل لنا عدو أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا من عداوته إيانا فأنزل الله - عَزَّ وَجَلَّ - (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ)⁽⁴¹⁾.

— أن عداوتهم له ما جاء في منعهم من قتل بخت نصر، وفي رواية ابن عباس أن اليهود قالوا: وإنه عادانا مرارا كثيرة، وكان أشد ذلك علينا أن الله تعالى أنزله على نبينا عليه السلام إن بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له: بخت نصر، وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه، فلما كان وقته بعثنا رجلا من أقوياء بني إسرائيل في طلب بخت نصر ليقته فانطلق يطلبه حتى لقيه ببابل غلاما مسكينا ليست له قوة. فأخذه صاحبنا ليقته فدفع عنه جبرئيل، وقال لصاحبنا: إن كان ربكم هو الذي أذن في هلاككم فلن تسلط عليه، وإن لم يكن هذا فعلى أي حق تقتله. فصدقته صاحبنا ورجع عليه السلام: فكبر بخت نصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذة عدوا. فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽⁴²⁾.

ب. النتيجة:

■ صحة استدراك ابن حجر على الواحدي وذلك للأسباب الآتية:

1. الآية 97 كان الحديث فيها عن عداوة جبريل عليه السلام فكان الأولى جمع ما يتعلق بسبب عداوته عند إيراد الآية الكريمة.

2. الآية 98 كان الحديث فيها عن عداوة الله وملائكته ورسله فكان الأولى إيراد سبب النزول الذي يبين سبب عداوة الرسول ﷺ لثبوت الرواية في ذلك.

3. إن الفرق بين سببي النزول اللذين أخرجهما الواحدي في الآية (97) و (98) ليس في القصة ذاتها وإنما فيمن دار الحوار بينه وبين اليهود فالرواية الأولى كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، والرواية الثانية كانت بينهم وبين عمر رضي الله عنه ولا شك أن الآية جاءت في الرد على اليهود وعقيدتهم وكفرهم بأركان الإيمان، ولا علاقة لها بمن تحدث مع اليهود.

فاستدراكه على الواحدي في هذه المسألة مبني على النظر في الآيات ودلالاتها، وبين الأسباب التي يوردها المفسر والموازنة بين موضع ذكر السبب وبين ما تدل عليه الآيات من معنى.

■ صحة استدراك ابن حجر على الرازي لسببين:

1. صحة التعليل الذي أورده ابن حجر ووفق ما جاء في رواية ابن عباس في خبر بخت نصر.
 2. لا تعارض بين الأقوال التي ذكرت في سبب عداوة جبريل وكلها يصح أن تجتمع في اليهود.
- فاستدراكه على الرازي قائم على النظر في الأقوال ودراستها والموازنة بينها ومعرفة أدلتها ووجه استدلالها ثم الاحتكام إلى ذلك في الاستدراك على المفسرين.

المطلب الرابع: الاستدراك المتعلق بالناسخ والمنسوخ في قوله تعالى: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا}:

نص قول ابن حجر:

(قال الواحدي: قال المفسرون: إن المشركين قالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ثم يرجع عنه غداً؟ ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه وهو كلام ينقض بعضه بعضاً فأنزل الله تعالى: {وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ} ، وأنزل أيضاً: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا} الآية⁽⁴³⁾).

قلت: وهذا أيضاً تبع فيه الثعلبي فإنه أورده هكذا وتبعهما الزمخشري فلخصه، فذكر أنهم طعنوا في النسخ وكذلك القرطبي وزاد أنهم أنكروا شأن القبلة وغيره المنسوخ. ووجدت في المنقول عن السلف ما أخرجه عبد بن حميد [عن قتادة]⁽⁴⁴⁾ (كانت الآية تنسخ الآية، وكان نبي الله ﷺ يقرأ الآية من السورة ثم ترفع فينسيها الله تعالى نبيه، فقال الله تعالى يقص على نبيه {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا} الآية).

قلت: وقد أورد الثعلبي في آخر كلامه هنا حديثاً يستأنس به في سبب النزول وهو ما أخرجه أبو عبيد من طريق الليث عن عقيل ويونس عن ابن شهاب قال: أخبرنا أبو أمامة بن سهل بن حنيف في مجلس سعيد بن المسيب أن رجلاً كانت معه سورة فقام يقرأها من الليل فلم يقدر عليها، وقام آخر

استدراكات ابن حجر على المفسرين في كتابه العجائب في بيان الأسباب - سورة البقرة أنموذجاً

يقرؤها فلم يقدر عليها، فأصبحوا فاتوا النبي ﷺ فقال بعضهم: قمت البارحة -فذكر حاله- فقال الآخر: ما جئت إلا لذلك، فقال آخر: وأنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: "إنها نسخت البارحة"⁽⁴⁵⁾.

قلت: ولعل قتادة أخذ ما قال من هذا الخبر، وليس في الخبر تعيين الآية الناسخة صريحاً بل ما يومئ إلى ذلك. والعلم عند الله تعالى⁽⁴⁶⁾.

أصل المسألة: كانت الآيات تنزل ثم يُنسخ بعضها فجعل المشركون من ذلك شبهة للطعن في القرآن الكريم فأنزل الله تعالى: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ). وعن قتادة قوله: (ما ننسخ من آية أو ننسها) ، كان ينسخ الآية بالآية بعدها، ويقرأ نبي الله ﷺ الآية أو أكثر من ذلك، ثم تنسى وترفع.

وجه استدراك ابن حجر:

استأنس ابن حجر بحديث أبي أمامة وجعله سبباً لنزول السورة، ونسب لقتادة أنه أخذ تفسيره من خبر أبي أمامة، وليس في خبر أبي أمامة ما يثبت لقتادة صنيعة.

دراسة الاستدراك:

أ. أقوال المفسرين في سبب نزول الآية: ذكر المفسرون في سبب نزول الآية الكريمة قولين:

أحدهما: أن اليهود لما حسدوا المسلمين في التوجه إلى الكعبة وطعنوا في الإسلام بذلك، وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه بشيء ثم ينهاهم عنه، فما كان هذا القرآن إلا من جهته، ولهذا يناقض بعضه بعضاً، فأنزل الله: "وإذا بدلنا آية مكان آية" وأنزل "ما ننسخ من آية"⁽⁴⁷⁾.

الأخرى: الرواية التي تقدم ذكرها عن المشركين قال الثعلبي: (إنَّ المشركين قالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر لم ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع فيه غداً، ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقول من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه بعضاً. فأنزل الله (وإذا بدلنا آية مكان آية)، وأنزل أيضاً (ما ننسخ من آية) ثم بين وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية⁽⁴⁸⁾.

ب. النتيجة:

صحة ما ذكره ابن حجر من أن قتادة أخذ ما قال من رواية أبي أمامة، وذلك أن الطبري أخرج رواية قتادة في قوله: (ما ننسخ من آية) كان ينسخ الآية بالآية بعدها، ويقرأ نبي الله ﷺ الآية أو أكثر من ذلك، ثم تنسى وترفع⁽⁴⁹⁾. فقوله يشهد له رواية أبي أمامة التي حدث بها في مجلس سعيد.

فاستدراك ابن حجر اعتمد فيه على تخريج كلام التابعين وبيان أصول أقوالهم بإيراد أقوال الصحابة التي اعتمد عليها التابعي في سبب النزول.

المطلب الخامس - الاستدراك المتعلق بنزول قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: 108]:
نص قول ابن حجر:

(قال الواحدي: قال ابن عباس: نزلت في عبد الله بن أبي أمية ورهط من قريش قالوا: يا محمد اجعل لنا الصفا ذهباً، ووسع لنا أرض مكة، وفجر الأنهار خلالها تفجيراً نؤمن بك فأُنزل الله هذه الآية.
 قول آخر: قال المفسرون: إن اليهود وغيرهم من المشركين تمنوا على رسول الله ﷺ فمن قائل يقول: ائتنا بكتاب من السماء كما أتى موسى بالتوراة، ومن قائل يقول -وهو عبد الله بن أبي أمية المخزومي-: ائتنا بكتاب من السماء فيه "من رب العالمين إلى ابن أبي أمية اعلم أنني قد أرسلت محمداً إلى الناس" ومن قائل يقول: لن نؤمن بك أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً فأُنزل الله تعالى هذه الآية.
 قلت: أما الأول فذكره الثعلبي ولعله من تفسير الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فإني وجدته عن ابن عباس بسند جيد لكنه مغاير له أخرجه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رافع بن حرمة وهب بن زيد لرسول ﷺ: ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرأه، وفجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك، فأُنزل الله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ الآية.

وقد قال الثعلبي عقب الأول: قال مجاهد: لما قالت قريش هذا لرسول الله ﷺ قال: نعم، وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل إنهم تؤمنوا فأبوا ورجعوا. قال: الصحيح أنها نزلت في اليهود حين قالوا: يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة.

قال الثعلبي: [لأن هذه السورة مدنية، وتصديق هذا القول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ انتهى.]⁽⁵⁰⁾
 وفيما حوله نظر فإن أثر مجاهد المذكور صريح في أن السائل في ذلك هم قريش كذا أخرجه الفريابي والطبري وابن أبي حاتم صحيحاً إليه قال: سألت قريش محمداً أن يجعل لهم الصفا ذهباً، فقال: نعم وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل فأبوا ورجعوا لكن لم يقل: إن هذه الآية نزلت في ذلك.

وأما ما نقله الواحدي عن المفسرين فأوماً به إلى الجمع بين ما نقله الثعلبي عن ابن عباس ثم عن مجاهد...
 وقال: (وقد جاء عن إمام كبير من المفسرين سبب آخر أوضح مما نقله وأولى بأن يكون سبباً لنزول هذه الآية وهو ما أخرجه ابن أبي حاتم بسند قوي عن أبي العالية وهو من كبار التابعين قال في قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ الآية قال: قال رجل يا رسول الله: لو كانت كفارتنا ككفارات بني إسرائيل؟

استدراكات ابن حجر على المفسرين في كتابه العجائب في بيان الأسباب -سورة البقرة أنموذجاً

فقال النبي ﷺ: "اللهم لا نبغيها، ثلاثاً، ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل، كان أحدهم إذا أصاب الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه، وكفارتها. فإن كفرها كانت له خزيًا في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له خزيًا في الدنيا والآخرة فأعطاكم الله خيراً مما أعطاهم {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}" فنزلت {أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ} الآية. (51)

أصل المسألة: أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل أن يريهم الله جهرة. قال سألت قريش محمداً أن يجعل لهم الصفا ذهباً قال نعم وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل فأبوا ورجعوا). (52).

ورجح الثعلبي أن الآية نزلت في اليهود واستدل على ذلك بمدنيّة السورة، وأن اليهود سألوا رسول الله ﷺ أنه يأتيهم بكتاب من السماء جملة كما أوتي موسى عليه السلام، وسألوا أن يريهم الله جهرة. **وجه استدراك ابن حجر:**

استدرك ابن حجر على الثعلبي ترجيحه لسبب نزول على بقية الأسباب في قوله: (الصحيح أنها نزلت في اليهود) وقال ابن حجر (فيما حاوله نظر) والسبب في ذلك ما يلي:

1. صراحة رواية مجاهد في أن قريش سألت رسول أن يجعل الصفا ذهباً.
2. إن مجاهد لم يصرح بأن الآية نزلت في سؤال قريش كما قال ابن حجر بناء على رواية ابن أبي حاتم عن مجاهد.

3. رواية أبي العالية في سبب نزول الآية وهي أوضح في بيان سبب النزول مما نقله الثعلبي عن مجاهد.

دراسة الاستدراك:

أ. أقوال المفسرين في معنى الآية: اختلفت الروايات في سبب نزول الآية (53):

أحدها: إنها نزلت في جماعة من اليهود وأخرج الطبري عن ابن عباس: قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله ﷺ: اتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك! فأنزل الله في ذلك من قولهما: (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل)، الآية، ورجح الثعلبي هذا القول لأن السورة مدنيّة.

الثاني: نزلت في العرب سألت أن ترى الله جهراً. عن السدي وقتادة: (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) ، أن يريهم الله جهرة. فسألت العرب رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالله فيروه جهرة.

الثالث: سألت قريش أن يجعل لهم الصفا ذهباً ويوسع لهم أرض مكة ويفجر الأنهار خلالها تفجير وهو قول مروي عن ابن عباس، عن ابن جريج عن مجاهد قال: سألت قريش محمداً أن يجعل لهم الصفا ذهباً،

فقال: "نعم! وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل إن كفرتم! فأبوا ورجعوا، فأنزل الله: (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) ، أن يريهم الله جهرة.

الرابع: إنها نزلت في تمنى جماعة من الصحابة أن تكون تكفير خطيئتهم مثل بني إسرائيل. وهذا قول رواه أبو العالية.

الخامس: إنها نزلت في سؤال قوم أن يجعل لهم ذات أنواط، كما سأل بنو إسرائيل موسى فقالوا: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. وقال أبو حيان: (يحتمل أن تكون هذه كلها أسباباً في نزول هذه الآية).

ب. النتيجة:

صحة استدراك ابن حجر على الثعلبي في ترجيحه إنها نزلت في اليهود وذلك للأسباب الآتية:

- صراحة قول مجاهد في أنها نزلت في قريش.

- ورود رواية أبي العالية في نزول الآية بسبب سؤال الصحابة عن كفارة الذنب.

- رواية ابن عباس رضي الله عنه التي رجحها الثعلبي فقد قال ابن حجر عن سندها "إنه جيد" ولكن لا يلزم من صحة سندها رد الأقوال الأخرى عن التابعين، فلا دليل يقطع بترجيح أحد الأقوال دون بعض ولذا لم نجد الطبري رجح أحداً منها، وجعلها أبو حيان كلها محتملة أن تكون أسباباً لنزول الآية، أما الواحدي فقد ساق في سبب النزول ما يدل على الجمع بين القولين قال ابن حجر: (وأما ما نقله الواحدي عن المفسرين فأوماً به إلى الجمع بين ما نقله الثعلبي عن ابن عباس ثم عن مجاهد)

فاستدراك ابن حجر مبني على النظر في جميع مرويات أسباب النزول من حيث صحة السند وصراحة الدلالة وضوابط ترجيح أقوال السلف فهو لا يقدم بعضها على بعض مدام إنها تحتل الجمع، ولم يكتف بما ذهب إليه أئمة التفسير بعدم الترجيح وقبولها جميعاً بل اعتنى بالاستدراك على الثعلبي لإبراز ضعف صنيعة.

المطلب السادس: الاستدراك المتعلق بتفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187]:

نص قول ابن حجر:

(أسند الواحدي من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد قال: نزلت هذه الآية ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ ولم ينزل ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له زيتهما⁽⁵⁴⁾، فأنزل الله تعالى بعد ذلك ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فعملوا أنه إنما يعني بذلك الليل والنهار. قال رواه البخاري ومسلم وهو كما قال.

استدراكات ابن حجر على المفسرين في كتابه العجائب في بيان الأسباب - سورة البقرة أنموذجاً

قال ابن عطية: وجعل عدي بن حاتم خيطين على وسادة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إن وسادك لعريض". قال ابن عطية: روي أنه كان بين طرفي المدة عام.

قلت: كلامه يوهم أن قصة عدي كانت قبل نزول قوله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ وليس كذلك بل صنيع الأنصار وصنيع عدي وإن اتحد في الخيطين لكن مأخذ الغرضين مختلف ونزول ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ كان بسبب الأنصار لأنهم حملوا الخيطين على حقيقتهما. وفعل عدي استمر بعد نزول قوله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ حملاً للخيطين على الحقيقة أيضاً، وأن المراد أن يوضح الفجر الأبيض منهما من الأسود فقليل له: إن المراد بالخيط نفس الفجر ونفس الليل⁽⁵⁵⁾.

أصل المسألة: إن خطأ عدي بن حاتم في فهم معنى الآية كان بعد نزول ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ لقوله عليه الصلاة والسلام (ألم أقل لك ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾؟)

وجه استدراك ابن حجر:

إن ابن عطية لما ساق قصة عدي لم يبين أنه وضع الخيطين تحت وسادته بعد نزول (من الفجر) لأنه قال: روي أنه كان بين طرفي المدة عام. وهذا يوهم أن صنيع عدي قبل نزول الآية.

دراسة الاستدراك:

أ. أقوال المفسرين في معنى الآية:

جاء في سبب نزول الآية ما رواه سهل بن سعد، قال: "أنزلت: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض، من الخيط الأسود﴾ [البقرة: 187] ولم ينزل ﴿من الفجر﴾ [البقرة: 187]، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولم يزل يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد: ﴿من الفجر﴾ [البقرة: 187] فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار"⁽⁵⁶⁾

قال أبو حيان: (فهم الصحابة الحقيقة من الخيطين قبل نزول: من الفجر، حتى أن بعضهم، وهو عدي بن حاتم، غفل عن هذا التشبيه وعن بيان قوله: من الفجر، فحمل الخيطين على الحقيقة.

وحكى ذلك لرسول الله ﷺ فضحك وقال: «إن كان وسادك لعريضاً» وروي: «إنك لعريض القفاء». إنما ذاك بياض النهار وسواد الليل، والقفا العريض يستدل به على قلة فطنة الرجل.⁽⁵⁷⁾

ب. النتيجة:

صحة استدراك ابن حجر على ابن عطية لما ثبت في حديث عدي بن حاتم، قال: أتيت رسول الله ﷺ فعلمني الإسلام، ونعت لي الصلوات، كيف أصلي كل صلاة لوقتها، ثم قال: إذا جاء رمضان فكل واشرب حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ثم أتم الصيام إلى الليل. ولم أدر ما هو، ففعلت خيطين من أبيض وأسود، فنظرت فيهما عند الفجر، فرأيتهما سواء. فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله كل شيء أوصيتني قد حفظت، غير "الخيط الأبيض من الخيط الأسود"! قال: وما منعك يا ابن حاتم؟ وتبسم كأنه قد علم ما فعلت. قلت: فتلت خيطين من أبيض وأسود فنظرت فيهما من الليل فوجدتهما سواء! فضحك رسول الله ﷺ حتى رُئي نواجذه، ثم قال: ألم أقل لك "من الفجر؟" إنما هو ضوء النهار وظلمة الليل⁽⁵⁸⁾.

فاستدرك ابن حجر جاء لإزالة ما قد يقع فيه القارئ من وهم بسبب صياغة عبارة المفسر. فقله عليه الصلاة والسلام: (ألم أقل لك "من الفجر؟") دليل على علم حاتم بنزول الآية لكنه حمل المعنى على أن المراد أن الفجر يوضح الأبيض والأسود من الخيطين، وهذا من الخطأ في التفسير. واستدراك ابن حجر على ابن عطية الموازنة بين كلام المفسر واستنباطه وبين ما تقتضيه دلالات النص من معنى.

تحليل النتائج:

تبين من خلال الدراسة تحقق معنى الاستدراك في منهج ابن حجر، تميز منهجه بالتنوع في الاستدراك فقد يستدرك برفع الإشكال في فهم كلام السلف، أو الاستدراك ببيان الوهم الذي قد يقع في إيراد سبب نزول في غير موضعه. أو بالنظر في الآيات ودلالاتها، أو بين ما تدل عليه الآيات ووجه الخلل في مواضع إيراد الأسباب عند الآيات. أو بالنظر في الأقوال وصحتها و الاستدراك على المفسر في اختياراته، أو الاستدراك بزيادة عدد الأقوال المقبولة فيما يختاره المفسر من علل تتعلق بأسباب النزول أو بتخريج كلام المفسرين من التابعين وبيان أصول أقوالهم بإيراد أقوال الصحابة وإزالة الإيهام عن كلام المفسر الذي قد يحدث لدى القارئ بسبب عبارة المفسر. وأنه يجب أن يراعى الدقة في فهم كلام ابن حجر فقد يستدرك على بعض الأئمة ويكون القول ما قرره المفسرون لذا كان لا بد من تحليل أقوال المفسرين والعلماء ثم اعتماد استدراك ابن حجر أو رده.

خاتمة:

خلصت هذه الدراسة بعد النظر في استدراكات ابن حجر إلى عدد من النتائج نجملها في الآتي:

النتائج:

1. دل قول السلف (مكي) على اختصاص الآية بما قبل الهجرة، وقولهم (خوطب به أهل مكة) على إنها نعم ما قبل الهجرة وما بعدها.
2. إن عدي بن حاتم وضع الخيطين تحت وسادته بعد نزول قوله تعالى : (من الفجر) وليس قبل نزول الآية كما قد يفهم من عبارة ابن عطية عند تعليقه على موقف عدي رضي الله عنه.
3. ضعف ترجيح الثعلبي أن آية (أم تريدون أن تسألوا رسولكم) نزلت في اليهود على بقية الأقوال ، لصحة أسناد الأقوال الأخرى وإمكانية الجمع بينها.
4. دقة تفسير الطبري لمعنى الأميين ودقة مقصده في إيراد أقوال المفسرين، ولذلك لم يكن استدراك ابن حجر على الطبري مما يسلم به.
5. عناية ابن حجر بكلام السلف وتوجيهه وإزالة الإشكال في فهمه.
6. تنوع منهج ابن حجر في استدراكاته فقد يكون استدراك يتعلق بالمكي والمدني بمعنى آية أو بالقول بسبب النزول أو في الناسخ المنسوخ أو في بيان معاني كلام السلف.
7. استدراكات ابن حجر مبنية على التتبع الدقيق للأقوال وأدلتها ودلالاتها ومواضع الوهم فيها.
8. جميع استدراكات ابن حجر التي تم موافقتها عليها ينطبق عليها معنى الاستدراك عند ابن حجر.
9. معنى الاستدراك عند ابن حجر يعني تتبع أقوال العلماء بالتصحيح أو التوضيح أو التكميل في أسباب النزول وما يرد معها من نكت علمية.
10. نسبة موافقة ابن حجر في استدراكاته 71% ونسبة المخالفة 28% من مجموع الاستدراكات وهي سبع استدراكات وردت من خلال الحديث عن أسباب ست آيات.
11. ما ذكره الباحثون في تعريف الاستدراك تدخل في التعريف الإجرائي أقرب من التعريف الاصطلاحي المتسم بأنه جامع مانع كما هو معروف في التعريفات الاصطلاحية.
12. حاجة مصطلح الاستدراك للتعريف الاصطلاحي في الدراسات القرآنية.

التوصيات :

1. جمع جهود ابن حجر في التفسير وعلوم القرآن من خلال مصنفاته.

2. تلخيص كتاب العجّاب ليسهل الرجوع إليه لمن أراد معرفة الصحيح والضعيف أو المقبول والمردود عند ابن حجر في أسباب النزول دون غيرها من المسائل العلمية.
3. الاستفادة من منهج ابن حجر في الاستدراكات لتأصيل منهج النقد في الدراسات القرآنية.
4. استكمال جمع استدراكات ابن حجر في كتابه العجّاب في بيان الأسباب.
5. إعداد مشروع لجمع استدراكات ابن حجر المتعلقة بالدراسات القرآنية في كتبه لكثرة وراثتها العلمي.

- (1) مقاييس اللغة، ابن فارس (2/ 269)، كتاب الأفعال، ابن القطاع (1/ 75، 357)، لسان العرب، ابن منظور، مادة: درك (10/ 419)، مختار الصحاح، الرازي (ص: 104)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (1/ 281)، تاج العروس (36/ 126).
- (2) التعريفات، الجرجاني (ص: 21).
- (3) الكليات (ص: 115).
- (4) استدراكات السلف في التفسير، د. نايف الزهراني، (ص: 24).
- (5) شرح قطر الندى، ابن هشام (ص: 148).
- (6) موسوعة النحو والصرف والإعراب، إميل بدیع يعقوب، (47)، مادة (الاستدراك).
- (7) استدراكات السلف في التفسير (ص: 24).
- (8) الاستدراك الأصولي، إيمان عموس (ص: 64).
- (9) الاستدراك الفقهي، مجمل الجدعاني (ص: 40).
- (10) العجائب (1/ 200 - 201).
- (11) بيان منهجه من خلال دراسة استدراكاته في سورة البقرة دون النظر في بقية الكتاب .
- (12) أسباب النزول، الواحدي (ص: 20).
- (13) العجائب (1/ 240 - 242).
- (14) البرهان، الزركشي (1/ 187).
- (15) البرهان (1/ 190).
- (16) أخرج ابن أبي شيبة الحديث مرسلًا عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ. المصنف كتاب فضائل القرآن (6/ 140) ، ووصله الحاكم في المستدرك ، ك: الهجرة (ج3/ 20/ 4295)، و البيهقي في دلائل النبوة (7/ 144).
- (17) انظر المحرر الوجيز، ابن عطية (1/ 105) والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (1/ 225).
- (18) البحر المحيط (262/1).
- (19) برهان (1/ 187، 191).
- (20) انظر معالم التنزيل (1/ 71)، الجامع لأحكام القرآن (1/ 225) زاد المسير، ابن الجوزي (1/ 42).
- (21) تفسير البسيط (2/ 217).
- (22) زاد المسير، ابن الجوزي (1/ 42).
- (23) تفسير مقاتل (1/ 93).
- (24) جامع البيان (1/ 362).
- (25) ذكر المحقق أن ابن منصور لا علاقة له بخبر الضحاك إنما هو مذكور في سند ابن أبي حاتم. وقال: فلعله خطأ من الناسخ.
- (26) العجائب (1/ 270 - 271).
- (27) انظر جامع البيان، للطبري (2/ 258-259).
- (28) جامع البيان، الطبري (2/ 258-259)، المحرر الوجيز ابن عطية (1/ 169)، معالم التنزيل، البغوي (1/ 115).
- (29) تفسير ابن كثير (1/ 204).
- (30) تفسير ابن كثير (1/ 204).
- (31) جامع البيان (2/ 271).
- (32) المحرر (1/ 170).
- (33) تفسير القرآن (1/ 205).

- (34) جامع البيان (2/ 270).
- (35) جامع البيان (2/ 262).
- (36) الترجمة الأولى قال الواحدي: قوله ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾، والترجمة الثانية قال الواحدي: قوله: (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ) أسباب النزول: (ص: 24 - 25).
- (37) العجاب (1/ 299).
- (38) مفاتيح الغيب (3/ 611).
- (39) جامع البيان (2/ 377)، البحر المحيط (2/ 352).
- (40) جامع البيان (2/ 378).
- (41) تفسير مقاتل بن سليمان (1/ 125).
- (42) الكشف والبيان (1/ 239).
- (43) أسباب النزول، الواحدي (ص: 29-30).
- (44) إدراج المحقق اسم قتادة ليتضح المعنى.
- (45) الكشف والبيان (1/ 254). بين الثعلبي أنواع ناسخ القرآن ومنسوخه وذكر إنها على نوعين: أحدهما: إن ثبت خط الآية، وينسخ علمها والعمل بها. والثاني: أن ترفع الآية أصلاً أي تلاوتها وحكمها معا فتكون خارجة من خط الكتاب، وبعضها من قلوب الرجال أيضاً، والشاهد له ما روي أبو أمامة سهل بن حنيف في مجلس سعيد ابن المسيب.. الحديث.
- (46) العجاب (1/ 350_348).
- (47) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (2/ 61)، مفاتيح الغيب، والرازي (3/ 636)، والبحر المحيط، أبو حيان (2/ 408).
- (48) الكشف والبيان (1/ 253)، معالم التنزيل، البغوي (1/ 153).
- (49) جامع البيان (2/ 474).
- (50) ما بين المعقوفين تصحيح من الكشف والبيان (1/ 257) لأن النسخة المطبوعة يظهر في الخطأ في الطبعة ونسخها (قال الثعلبي: ويصدق هذا القول أن هذه السورة مدنية، وقد قال تعالى: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ} كما أتى موسى بالتوراة قال الثعلبي: ويصدق هذا القول أن هذه السورة مدنية وقد قال تعالى: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ} فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا {أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهَنَّةُ} انتهى) العجاب في بيان الأسباب (1/ 351) وهكذا يظهر للقارئ وقوع التصحيح في المطبوع!
- (51) العجاب (1/ 351_352).
- (52) تفسير ابن أبي حاتم (1/ 203).
- (53) جامع البيان (2/ 490-491)، تفسير ابن أبي حاتم (1/ 204)، والبحر المحيط (2/ 419-420).
- (54) قال المحقق في الحاشية 5: (في "صحيح مسلم": "رؤيتهما" وقال المحقق: "هذه اللفظة ضبطت على ثلاثة أوجه: ... والثاني: زيهما ومعناه لوئهما واللفظة في "صحيح البخاري" من هذا الطريق: "رؤيتهما" انظر "الفتح" 4/ 134). (ص: 447)
- (55) العجاب (1/ 448_449).
- (56) صحيح البخاري، ك: الصوم، ب: "كلوا واشربوا.."، (3/ 28/ ح 1917).
- (57) البحر المحيط (2/ 385-386).
- (58) جامع البيان، الطبري (3/ 512).

قائمة المراجع:

1. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم (ت.327هـ)، تفسير القرآن العظيم. المحقق: أسعد محمد الطيب، (ط.3، المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419 هـ).
2. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت.468هـ)، التفسير البسيط. المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، (ط.1، السعودية: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430 هـ).
3. أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت.150هـ)، تفسير مقاتل. المحقق: عبد الله محمود شحاته، (ط.1، بيروت: دار إحياء التراث، 1423هـ).
4. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت.310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن. المحقق: أحمد محمد شاكر، (ط.1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000م).
5. أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت.745هـ)، البحر المحيط في التفسير. المحقق: ماهر حبوش وآخرون، (ط.2، دمشق: دار الرسالة العالمية، 1441 هـ - 2020م).
6. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ)، العجائب في بيان الأسباب. المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس، (ط.1، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، 1418 هـ - 1997م).
7. أبو عبد الله محمد الرازي (ت.606هـ)، مفاتيح الغيب. (ط.3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ).
8. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (ت.666هـ)، مختار الصحاح. المحقق: يوسف الشيخ محمد، (ط.5، بيروت-صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، 1420 هـ / 1999م).
9. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت.671هـ)، الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط.2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384 هـ - 1964م).
10. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت.542هـ)، الخرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ).
11. أحمد بن الحسين البيهقي (ت.توفى: 458هـ)، دلائل النبوة. المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، (ط.1، د.م.: دار الكتب العلمية - دار الريان للتراث، 1408 هـ - 1988م).
12. أحمد بن محمد الثعلبي، أبو إسحاق (ت.427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الكشف والبيان عن تفسير القرآن. (ط.1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1422 هـ - 2002م).
13. إسماعيل بن عمر بن كثير (ت.774هـ)، تفسير القرآن العظيم. المحقق: محمد حسين شمس الدين، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، 1419هـ).
14. إميل بديع يعقوب، موسوعة النحو والصرف والإعراب. شبكة الفكر، <http://alfeker.net/library>.
15. أيوب بن موسى الحسيني الكفوي أبو البقاء (ت.1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، (ط.2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1413 هـ - 1993م).
17. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت.502هـ)، المفردات في غريب القرآن. المحقق: صفوان الداودي، (ط.1، دمشق-بيروت: دار القلم-الدار الشامية، 141 هـ).
18. الزهراني نايف، استدراكات السلف في التفسير في القرون الثلاثة الأولى دراسة نقدية مقارنة. (ط.1، الرياض: دار الدليقان، جدة: دار أجيال التوحيد، 1441 هـ - 2020م).

19. عبد الله بن محمد أبو بكر بن أبي شيبة (ت. 235هـ)، المصنف في الأحاديث والآثار. المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، 1409هـ.
20. عبد الله بن يوسف ابن هشام (ت. 761هـ)، شرح قطر الندى وبل الصدى. المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، (ط. 11)، القاهرة: 1383هـ.
21. علي بن أحمد الواحدي (ت. 468هـ)، أسباب النزول. تحقيق مصطفى ديب البغا، ط. 2، دمشق: دار ابن كثير، 1413هـ/ 1993م.
22. علي بن جعفر المعروف بابن القطّاع الصقلي (ت. 515هـ)، كتاب الأفعال. (ط. 1، د.م.: عالم الكتب، 1403هـ - 1983م).
23. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت. 816هـ)، كتاب التعريفات. المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، (ط. 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ - 1983م).
24. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط. (د.م.: دار الدعوة. د.ت).
25. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، (ط. 1، د.م.: دار طوق النجاة، 1422هـ).
26. محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم (ت. 405هـ)، المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (ط. 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ - 1990م).
27. محمد بن محمد الملقّب بمرتضى، الرّبيدي (ت. 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس. المحقق: مجموعة من المحققين، (د.م.: دار الهداية، د.ت).
28. محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور (ت. 711هـ)، لسان العرب. (ط. 3، بيروت: دار صادر، 1414هـ).
29. معالم التنزيل في تفسير القرآن. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت. 510هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، (ط. 4، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ - 1997م).
30. إيمان بنت سالم قبوس، الاستدراك الأصولي دراسة تأصيلية تطبيقية على المصنفات الأصولية من القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر هجريًا. رسالة: دكتوراه في أصول الفقه - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، إشراف: أ. د/ محمود بن حامد عثمان، العام الجامعي: 1436هـ - 2015م.
31. محمول بنت أحمد بن حميد الجدعاني، الاستدراك الفقهي تأصيلًا وتطبيقًا. رسالة: ماجستير في الفقه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية، إشراف: د. عبد الله بن عطية الغامدي، العام الجامعي: 1433هـ - 1434هـ.